محاضرات تاريخ الوطن العربي المعاصر للمرحلة الرابعة/ قسم التاريخ/

كلية التربية-قسم التاريخ

د. جبار الشمري

1- اتفاقية سايكس – بيكو:

كانت الدول الاوربية, بريطانيا وفرنسا وروسيا, تسعى منذ القرن التاسع عشر , في الاقل لاقتسام ممتلكات الدولة العثمانية. وقد شجع دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى الى جانب المانيا وامبراطورية النمسا والمجر, تلك الدول لتحقيق مطامعها في اراضي الدولة العثمانية. فجددت روسيا مطامعها بالسيطرة على اسطنبول ومضيقي البسفور والدردنيل, فيما طالبت فرنسا ببلاد الشام, وبدأت بريطانيا تزيد من خططها لضمان مصالحها التقليدية في المنطقة.

ولتحقيق تلك الاهداف والاطماع بدات في اذار 1915, مفاوضات تمهيدية فيما بينها بهذا الشأن, واستمرت تلك المفاوضات مايقارب العام, حتى اسفرت عن عقد اتفاقية, سايكس – بيكو, نسبة الى كل من المندوبين السياسيين السير مارك سايكس عن الجانب البريطاني, والمسيو جورج بيكو عن الجانب الفرنسي, وتم التوقيع على الاتفاقية رسميا في 16 ايار 1916 احتفظت كل دولة بموجبها بما ياتي وقد لونت الاقطار العربية بالالوان لكل دولة :

أ- المنطقة الزرقاء تكون لفرنسا وتشمل القسم الاعظم من بلاد الشام( سوريا ولبنان) وبحصة من جنوب الاناضول ومنطقة الموصل في العراق.

ب- المنطقة الحمراء تكون لبريطانيا وتتالف من شريط يمتد من اقصى جنوب سوريا عبر العراق اذ يشمل ولايتي بغداد والبصرة وكل المنطقة الواقعة بين الخليج العربي والمنطقة المخصصة لفرنسا وهي تضم ايضا مينائي حيفا وعكا مع جزء صغير من المنطقة الداخلية.

ج- المنطقة البنية وتشمل فلسطين وتم الاتفاق بان تبقى تحت الاشراف الدولي الخاص.

د- اما روسيا فقد فضلت ان تكون ارمينيا كلها ومضيقي البسفور والدردنيل لها.

بعد سلسلة مداخلات بين بريطانيا وفرنسا, خاصة بعد الصراع بين الدول الثلاث حول ادارة فلسطين وشؤونها مع اهتمام بريطانيا بادارة فلسطين ضمن مخطط استعماري وبالتعاون مع الحركة الصهيونية لانشاء دولة يهودية في فلسطين لتكون خليفة لبريطانيا وعلى مقربة من مصر وقناة السويس , ولعدم قيام دولة عربية في سوريا والعراق.

كانت اتفاقية سايكس بيكو مثالا صارخا على مكر وخداع وجشع الدول الكبرى اذ ادت دورا خطيرا في تدمير صورة المستقبل العربي الذي كافح من اجله العرب في الوحدة والاستقلال وتلاعبها بمقدرات الشعب العربي

ان الخطورة لاتكمن فيما حققته اتفاقية سايكس- بيكو في حينها من مكاسب استعمارية وخطيرة في مستقبل الوطن العربي حيث تحول الى اجزاء متناثرة واصبح التمزق والقطرية ظاهرة موجودة بين اقطار الامة الواحدة.

ظلت اتفاقية سايكس- بيكو امرا سريا حتى تم كشف بنودها من قبل زعماء الثورة الروسية في تشرين الثاني 1917, وكان ذلك فضيحة بالنسبة لبريطانيا وفرنسا.

2- التطورات السياسية في مصر:

تركت وفاة سعد زغلول عام 1927, فراغا في الحياة السياسية في مصر,اذ لم يستطع احد من خلفائه ان يحل مكانه, ولحل الازمة تم اختيار مصطفى النحاس لرئاسة حزب الوفد,الذي تدنى نفوذه في عهد النحاس لاسيما بعد ان نجح القصر في استمالة عدد من قادة الحزب وخاصة الذين كانوا يعارضون زعامة النحاس للحزب, وفي عام 1932عانى الحزب من ازمة بين صفوفه تمثلت بالانقسام بين اعضائه رافقها ان مدة الثلاثينات من القرن العشرين قد حفلت بتطورات مهمة على الساحتين الداخلية والخارجية دفعت بكلا الطرفين المصري والبريطاني الى البحث عن مخرج للمسائل المعلقة بينهما.

على الصعيد الداخلي شهدت مصر صراعا حزبيا بلغ من حدته ان ظهرت مطالب تدعو لتاسيس جبهة وطنية في مصر, وتأسست بالفعل في اواخر عام 1935 من جميع الاحزاب باستثناء الحزب الوطني.

اما على الساحة الدولية فقد حدثت تطورات عدة منها:

1- ضعف عصبة الامم التي تاسست بعد الحرب العالمية الاولى, التي لم يعد لها احترام كبير بين الدول.

2- نمو قوة اليابان في شرق اسيا حتى اصبحت تشكل تهديدا للنفوذ البريطاني في الصين وفي جنوب شرق اسيا.

3- ازدياد مطالبة الهند بحقها بالاستقلال.

4- تنامي الوعي بين الشعوب المغلوبة وتمسكها بحقها في تقرير المصير

5- احتلال ايطاليا للحبشة(اثيوبيا) عام 1935 كان قد شكل تهديدا للمصالح البريطانية في مصر من ناحية حدودها الجنوبية الشرقية فضلا عن ايطاليا كانت تحتل ليبيا وهذا مازاد من خطورة الموقف اذ ان اطماع ايطاليا تعدت الى محاولة تاسيس نفوذ لها في البحر المتوسط وفي مصر. وكان الايطاليون قد عقدو العزم على شن عدوان جديد ضد أي دولة تتحدى مركزهم الجديد.

ازاء هذه التطورات رات مصر ان من الافضل لها الوصول الى اتفاق مع بريطانيا خشية الوقوع فريسة للغزو الايطالي, كما شعرت بريطانيا بضعف مركزها في مصر, لان مركزها كان يستند الى القوة فحسب , فبدات محادثات تمهيدية في القاهرة اوائل اذار عام 1936, تراس الجانب المصري مصطفى النحاس والجانب البريطاني المندوب السامي مايلز لامبسون, وانتهت المحادثات في 26 من اب من العام نفسه, بالتوقيع على اتفاقية نصت على:

1- ان تضع مصر موانئها ومطاراتها ووسائل مواصلاتها تحت تصرف بريطانيا في حالة الحرب.

2- استمرار الحكم الثنائي في السودان

3- مدة المعاهدة عشرون عاما.

4- تقوم بريطانيا بسحب قواتها الى قناة السويس.

5- حق مصر في حماية الاجانب في اراضيها.

6- الغاء الامتيازات الاجنبية في مدة وجيزة.

كانت المعاهدة حماية مقنعة, اضفت الشرعية على الوجود البريطاني في مصر التي حفلت باحداث مهمة منها وفاة الملك فؤاد في اواخر نيسان وتسلم ولده فاروق العرش والذي استاثر بالحكم واصبح مصدرا لكل السلطات وجعل الوزارات اداة طيعة بيده. وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية 1939 قاسى الشعب المصري الكثير منها فقد خضعت مصر للاحكام العرفية وتدفقت بعض القوات الحليفة لبريطانيا الى مصر كما وضعت السلطات البريطانية يدها على المحاصيل الزراعية والمواد الاولية وهذا مادفع بالحركات الوطنية الى المطالبة بجلاء القوات البريطانية والاعتراف بوحدة وادي النيل ولكن بريطانيا رفضت ذلك فاندلعت المظاهرات والاضرابات مما اضطر بريطانيا الى انتهاج اسلوب التهدئة والترضية لتمشية امورها حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية.

3- الحركة الوطنية في المغرب:

وقع المغرب منذ عام 1911 تحت سيطرة دولتين هما اسبانيا وفرنسا, فقد سيطرت الاولى على المناطق الشمالية القريبة من البحر المتوسط, في حين سيطرت الثانية على بقية المغرب, وظل هذا التقسيم ساري المفعول حتى عام 1923 عندما تقرر وضع ميناء طنجة الذي يقع عاى مقربة من مضيق جبل طارق تحت اشراف دولي وهكذا انقسم المغرب الى ثلاث مناطق.

لم ينجح الفرنسيون في اتمام سيطرتهم على المغرب الا حوالي عام 1935, بسبب المقاومة المسلحة التي برزت الى جانبها جمعيات سياسية مناهضة للسيطرة الاستعمارية الفرنسية , كما صدرت عدد من الصحف والمجلات المنددة بتلك السياسة مثل صحيفة(المغرب)و(عمل الشعب), وفي عام 1934 اعدت كتلة العمل الوطني برنامجا رفضته السلطة الفرنسية, فرجعت عام 1936 لتطالب الكتلة باطلاق حرية الصحافة خلال مهرجان اقامته في مدينة الدار البيضاء قامت على اثره السلطات الفرنسية باعتقال زعماء الحركة , فاشتعلت المغرب بالمظاهرات وللتخفيف من حدة الموقف سمحت فرنسا بصدور الصحف اثنين باللغة العربية واثنيين باللغة الفرنسية. لكن الحركة الوطنية ظلت تمارس نشاطها ففي نيسات 1937 عقدت الحركات الوطنية مؤتمرا سريا في الرباط انبثق عنه تاسيس الحزب الوطني الذي حظي بتاييد واسع من الشعب وقد شكل هذا الحزب عدة فروع له في سائر المدن المغربية. وفي اواخر العام قرر الحزب تشديد النضال ضد السياسة الفرنسية لاجبارها على الاعتراف بحقوق الشعب المغربي لكن فرنسا سارعت بحل الحزب ونفي زعيمه والقاء القبض على العشرات من الوطنيين وزجهم في السجون وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية وقف الملك محمد الخامس الى جانب فرنسا في حربها ضد المانيا املا في ان فرنسا بعد انتهاء الحرب ستعطي المغرب استقلاله, لكن السياسة القمعية الفرنسية استمرت فقررت الحركة الوطنية تاسيس حزب جديد عرف بحزب الاستقلال كانت باكورة اعماله تقديم مذكرة طالبت باستقلال المغرب والتنديد بنظام الحماية فتعرض اعضلئه للسجن والبعض الاخر للنفي لكن الحزب استمر بنشاطه فارسل الوفود الى الامم المتحدة في عام 1947 لعرض القضية المغربية كما سعى الحزب الى الحصول على دعم الجامعة العربية لكن فرنسا زادت من سياستها التعسفية لكن تصاعد حدة المقاومة الوطنية اضطرت فرنسا الى تغيير سياستها تجاه المغرب في منتصف عام 1955 حيث جرت مباحثات بين المغرب وفرنسا استمرت حتى اسفر عن اتفاق اذار 1956 نص على منح المغرب الاستقلال.

4- جامعة الدول العربية:

سعت بريطانيا الى احتواء المد القومي لما يحقق مصالحها في المنطقة فاتجهت الى مصر لاقناعها بانشاء مشروع اتحادي يجمع الحكومات العربية المستقلة( العراق- السعودية- اليمن-الاردن- لبنان- سوريا), فالتقى النحاس بوفود تلك الدول في نهاية عام 1944 لعرض الموضوع فظهرت ثلاث اتجاهات رئيسية, دعى الاتجاه الاول الى مشروع سوريا الكبرى بزعامة عبدالله بين الحسين ملك الاردن يدعمه نوري السعيد رئيس وزراء العراق, والاتجاه الثاني دعى الى تطبيق مشروع الهلال الخصيب بزعامة العراق, اما الاتجاه الثالث فكان يدعو الى وحدة او اتحاد اشمل واكبر ليضم مصر والسعودية واليمن فضلا عن اقطار الهلال الخصيب لكنهم اختلفوا حول شكل الاتحاد( فدرالي) ام ( كونفدرالي).

بعد مفاوضات طويلة استمرت ثمان جلسات اصدرت وفود الدول المجتمعة في 7 تشرين الاول 1944 (بروتوكول الاسكندرية) الذي تضمن تاليف رابطة او منظمة اقليمية تجمع الاقطار العربية المستقلة باسم( جامعة الدول العربية). وقعت جميع الاقطار العربية المشتركة على نص ميثاق الاسكندرية باستثناء السعودية واليمن حتى عام 1945.

اعقب بروتوكول الاسكندرية مداولات بين الوفود العربية بشان ميثاق الدول العربية الذي تم التوقيع عليع بعد مداولات بين تلك الوفود في 22 اذار 1945 من قبل العراق ومصر والاردن ولبنان وسوريا واليمن والسعودية واصبح الميثاق نافذ المفعول والذي جاء متوافقا مع ميثاق الامم المتحدة الذي اجاز اقامة المنظمات الاقليمية. تضمن هذا الميثاق عشرين مادة مع ملحق يتعلق بفلسطين. وعلى اهم مايجب ان تحتويه الجامعة من تشكيلات واهمها:

أ- مجلس الجامعة

ب- السكرتارية العامة(الامانة العامة)

ج-اللجان

اما اهداف الجامعة:

1-توثيق الصلات بين الدول الاعضاء وتنسيق الخطط السياسية تحقيقا للتعاون

2- صيانة استقللال الدول الاعضاء وسيادتها

3- المحافظة على الامن والسلام بين الدول الاعضاء

4- تحقيق التعاون في المسائل الاقتصادية والثقافية والاجتماعية

5- تنسيق الدفاع عن الدول العربية

6- النظر في مصالح البلدان التي لم تظفر بعد باستقلالها.

اما ابرز نشاطات الجامعة فقد ساعدت على نيل كل من سوريا ولبنان استقلالهما عام 1946 ونجحت في ابرام معاهدة جديدة بين بريطانيا ومصر عام 1954 تضمنت الاستقلال وجلاء القوات البريطانية كما اخذت على عاتقها مهمة الدفاع عن ليبيا ونيل استقلالها عام 1951 كما هو الحال في السودان, كما نجحت الجامعة بتسوية الخلافات الداخلية التي نشبت في اليمن في الاعوام 1948 و1954 كما كان لها دورا في استقلال دول المغرب العربي كافة, وفي المجال الاقتصادي سعت الجامعة العربية الى عقد اتفاقيات التعاون الاقتصادي عام 1950 واتفاقية التبادل التجاري وتنظيم الترانسيت عام 1953 كما نشطت الجامعة في قيام الحوار العربي- الاوربي والتعاون العربي- الافريقي

اما عن تقويم الجامعة فهناك اجماع بين الدارسين بان الجامعة قد افقت في التصدي للمشكلات الاساسية التي واجهت الوطن العربي وخاصة مشكلة فلسطين وغيرها من المشاكل العربية المعروفة اذ ان الجامعة لاتشكل الطموح العربي فعلى هذه الجامعة التوحد والتضامن لمواجهة الاخطار والتحديات الداخلية والخارجية وتعديل ميثاق الجامعة بما يتلائم وضروف المرحلة الراهنة.